آثَرُ الْحَذْفِ فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ

The effect of omission on textual cohesion according to Ibn Hazm al-Andalusi

الاسم: هبه هيسم خيرالله

إشراف: د. أمينة أيوبي

الملخص :

يتناول هذا البحث ظاهرة الحذف في شعر ابن حزم الأندلسي، بوصفها إحدى الآليات الأسلوبية التي أسهمت في بناء الدلالة وتحقيق تماسك النص الشعري. وقد استهلّ البحث بمقدمة وصفت أهمية البحث والأسباب التي أدت إلى كتابته بالإضافة إلى الدراسات السابقة والمنهج المتبع، وتبعها تمهيد موجز عن ابن حزم، ثم انتقل البحث إلى رصد مواطن الحذف في شعره، مبيّناً أشكاله المختلفة مثل: حذف المبتدأ والخبر بالإضافة إلى حذف المفعول به وذلك اعتماداً على قرائن لغوية ودلالية تمكّن المتلقي من استنتاج المحذوف دون غموض، كما بحثت الدراسة في أثر الحذف في تماسك النص الشعري، حيث تبيّن أن الحذف أسهم في تقوية العلاقات النّصيّة الداخلية، وقد خلص البحث إلى أن الحذف في شعر ابن حزم الأندلسي أدى دوراً فاعلاً في تكثيف المعنى، وتعميق الأثر الجمالي، وتعزيز وحدة النص وتماسكه .

الكلمات المفتاحية: ابن حزم– الحذف وجمالياته– تماسك النص .

Abstract:

This research examines the phenomenon of ellipsis in the poetry of Ibn Hazm al-Andalusi, considering it one of the stylistic mechanisms that contributed to meaning construction achievement of textul cohesion in poetic discourse . The research began with an introduction in which we mentioned the importance of the research, the reasons that led to writing it, the reasons behind it's undertaking, previous studies, and the adopted methodology . This is followed by a brief preliminary section on Ibn Hazm The research then proceeds to identify instances of ellipsis in his poetry, clarifying it's various forms, such as the omission of the subject and predicate, as well as the omission of the object. This is based on linguistic and semantic clues that enable the reader to infer the omitted elements without ambiguity .The study also investigates the effect of ellipsis on the cohesion of the poetic text.It emonstrates that ellipsis contributes to strengthening internal textul relations .The research concludes that ellipsis in the poetry of Ibn Hazm al-Andalusi plays an effective role in intensifying meaning, deepening aesthetic impact,and reinforcing textual unity and cohesion.

Keywords: Ibn Hazm- Deletion and it's aesthetics- Text coherence .

تمهيد:

تعدّ اللغة العربيّة من أكثر اللغات ثراء في الوسائل التعبيرية والأساليب البلاغية التي تمكّن المتكلم أو الكاتب من تحقيق التوازن بين الإيجاز والإفصاح، وبين الدقة والجمال الفني. ومن أبرز هذه الوسائل الأسلوبية ظاهرة الحذف، التي شكلت عبر تاريخ البلاغة العربية إحدى الأدوات الفنية القادرة على تكثيف المعنى وإثراء الدلالة دون الإخلال بالبنية اللغوية للنص.

إذ لا يقوم على مجرد إسقاط لفظي، بل على حضور القرائن السياقية التي تمكن المتلقي من استنباط المعنى واستكمال العناصر المحذوفة ما يخلق تفاعلا بين النص والقارئ .

ويبرز الحذف بوصفه آلية أسلوبية تتجاوز حدود الاقتصاد اللغوي إلى بناء شبكة من العلاقات الداخلية التي تسهم في تحقيق تماسك النّص، فالنص يعتمد على حذف بعض عناصر التركيب لتحقيق الإيحاء وتعزيز البعد الجمالي، وفتح المجال أمام تعدد التأويلات .

ومن هنا يصبح الحذف وسيلة لإشراك المتلقي في عملية الإنتاج، وفي إطار الشعر الأندلسي يكتسب موضوع الحذف أهمية خاصةً لما اتسمت به البيئة الثقافية في الأندلس من تفاعل حضاري وفكري تجلّى على النتاج الأدبي فمال الشعراء إلى الأساليب المكثفة ذات البعد التأملي. ويعد ابن حزم من أبرز الشخصيات الفكرية والأدبية التي جمعت بين المعرفة الشرعية والفلسفية والأدبية .

أهمية البحث ومنهجه :

يسعى هذا البحث إلى إضاءة بعض السمات الخاصّة في شخصيّة ابن حزمٍ الشّاعر من خلال شعره؛ فالدّراسات حول نثره كثيرة، أمّا شعرُه فلم يُلتفت إليه إلا قليلا، بالإضافة إلى أن الحذف ظاهرةٌ بلاغية جمالية في اللغة العربيّة، والوقوف عندها يكشفُ لنا مدى جماليّة هذه اللّغة، ويجعل الباحث يستقرئُ القدرة الإبداعية للغة .

وعلى الرغم من أن الحذف قد يراعي التوفير اللغوي إلّا أن له تأثيراً بالغاً في تماسك النّص، إذ إنه لا يعطي المعنى على نحو مباشر، بل يُلزم بالاستنتاج والتفاعل مع النّص على نحو أعمق. لذلك سنتطرق في هذا البحث إلى مواطن الحذف في ديوان ابن حزم الأندلسي والجماليات التي يشكلها بالإضافة إلى كيفية تأثير الحذف فيالنصوص الأدبية من حيث التماسك الداخلي وبناء النص وكيف يسهم في تعزيز البناء اللغوي والجمالي للنص في شعره.

أمّا منهجُ البحث فهو المنهج الأسلوبي إذ يعد المنهج الأسلوبي في تحليل جماليات الحذف في شعر ابن حزم أداة فاعلة لفهم كيفية استخدام الشاعر لهذه التقنية البلاغية لتكثيف المعنى، و يركز على تحليل الظواهر التي سنتحدث عنها ضمن سياقاتها الأدبية والاجتماعية، واعتمد البحث على دراسة العناصر اللغوية من حيث وظيفتها التأثيرية والجمالية، فالحذف ليس مجرد أساليب لغوية بسيطة، بل أدوات فنية تحمل معاني عميقة تتعلق بشخصية الشاعر وتوجهاته الفكرية، و تظهر القدرة العالية على استخدام اللغة لتوصيل مشاعر وأفكار معقدة. ولابدّ لنا أن نلقي الضوء على طبيعة الشعر آنذاك وعلى شيء من حياة ابن حزم وشعره.

الشعر في العصر الأندلسيّ:

تطورت جميع أنواع العلوم وفروعها، من علوم دينيّة ودنيويّة، وجعلوا من ثقافتهم عنواناً لحضارتهم المشرقة الّتي سارت لقرونٍ وما زال أثرها قائماً إلى وقتنا هذا.

يُعدُّ الشعر من أقدم الفنون الأدبيّة التي شهدتها الإنسانيّة ولقد أدى دوراً محوريّاً في التعبير عن المشاعر والأفكار والآراء عبر العصور وفي التاريخ العربيّ، وكان أحد أبرز ألوان الأدب التي تجسّد الجمال اللغوي والفكري وله دور بارز في الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة، فبرزت الأندلس كإحدى أهم الحواضر الثقافية التي أبدع شعراؤها في عدد من المجالات الشعريّة وأسهموا في تشكيل التراث الأدبيّ العربيّ، كانوا يعدونه مرآة لثقافتهم وحضارتهم، فلم يكن الشعر مجرّد فنّ أدبيّ بل كان أيضاً أداة لتوثيق تاريخيّ ووسيلة للتعبير عن الهويّة الثقافيّة لهم ولاسيما عندما تولّى الأمويّون حكمها، وقيل في ذلك:"ولكنك قلّما تجد من بين الأفراد المشهورين من لايمارس قرض الشّعر ابتداء من عبد الرحمن الداخل حتى آخر العهد الأموي، ويعدّ كتاب الحلّة السّيراء معرضاً واسعاً لهذا النشاط". [1]

أصبح الشعر ظلّاً للحياة السياسيّة في الأندلس ويعتقد " أن العصر الذّهبيّ الذي شهده الشعر الأندلسيّ انتهى مع نهاية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي.."[2]

أبرز الموضوعات الّتي تناولها شعر الأندلس إضافةً إلى شعر الزّهد موضوع شعر الوصفِ ولا سيّما وصف طبيعةِ الأندلس، فقد تطرقِ إليه عددٌ كبيرٌ من شعراء الأندلس، وذلكَ لما فيها من طبيعةٍ خلّابةٍ يأوي ويلجأُ إليها الشّعراء وقتَ محنهم وضيقهم، فقد وصفَ المقري الأندلس بوصف دقيق وجميل وشامل: "الأندلس شاميّة في طيبها وهوائها، يمانيّةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديّةٌ في عطرها وذكائها، أهوازيّةٌ في عظم جبايتها، صينيّةٌ في جواهر معادنها، عدنيّةٌ في منافع سواحلها".[3]

---

[1] تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، تاريخ الأدب الأندلسي وعصر سيادة قرطبة، د إحسان عباس، ط2، بيروت، 1960م، ص90.

[2] الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، خميسي بولعراس، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2007م، ص164.

[3] نفخ الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد محمد المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، م1، دار صادر، بيروت، ص126.

كأن المقريّ يُصرح بأنّ زائر الأندلس والمُستمتع برؤيّتها فكأنّه زار العالم كلّه واطلع على أجمل ما فيه، ومتى أتى غريب الدّار إليها لم يشعر بالغربةِ أبداً.

ولم يتوقف وصفها عند المقري بل أضاف ابن سعيد وصفاً لها فقالَ: "وميزان وصف الأندلس أنّها جزيرةٌ قد أحدقت بها البحار، فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كلِّ جهةٍ، فمتى سافرت من مدينةٍ إلى مدينة لا تكادُ تنقطع من العمارةِ ما بينَ قرى ومياه ومزارع والصّحارى فيها معدومة"[4]، فكانت الطّبيعة فيها سبباً أساسيّاً لتعلّق الأندلسيين ببلدهم وحنينهم إليها.[5]

الشاعر الأندلسي لم يتوقف عند غرض الوصف فحسب بل تطرق إلى أغراض أخرى عبّر فيها عمّا يختلج في نفسه وجعله أداة للتواصل بين طبقات المجتمع المختلفة، فثقافة الشاعر الأندلسي هي نتاج تفاعل عدد من العوامل كالبيئة الأندلسيّة التي تربّى فيها وتأثّره بالثقافات الأخرى ولاسيما تلك التي أتت من المشرق، فقد نرى أحد الباحثين يلفتُ أنظارنا إلى ظاهرة وهي وجود الشّاعر العالم أو العالم الشّاعر، وعنده أنّ الشّاعر العالم أديبٌ أصلاً ظهرت ثقافتهُ في شعرِه، وفي ذلك الحين يكونُ ظهورها خافتاً، أمّا العالم الشّاعر فغالباً ما يكونُ شعره منفساً لفكرِه، مُفصحاً عن اتجاهاته الذّهنيّة... وكلا الصّنفين يعكِسُ ثقافته لكن بقدرٍ مُختلفٍ والثّقافة القرآنيّة أصل".[6]

ممّا سبقَ نجدُ أنَّ مَن كانَ عالماً وعارفاً وأخذَ العلومَ وأتقنَ الشّعرَ فيما بعد يجعلُ من شعره كتاباً يقرؤه الآخرون، يبرزُ أهمَّ الموضوعات الّتي يريد أن يُسقطها على أرض الواقع ولكن" قلّما نجد شاعراً في هذا العصر – لم يستوفِ نصيبهُ من العلمِ والثّقافةِ بحيثُ ظهرت آثار هذه الثّقافة في شعرهم على نحو واضحٍ، وفيه أغراض شعرٍ مختلفةٍ بمعنى أنّهم كانوا بعيدين عن السّذاجة في القول والبداوة الّتي عُرفَ بها شعراء الجاهليّةِ..."[7]

ابن حزم (حياته_ علومه_ شعره):

[4] نفح الطيب للمقري، ص205

[5] ينظر تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1993م، ص14.

[6] ينظر الاتجاه الإسلاميّ في الشّعر الأندلسيّ، منجد مصطفى بهجت، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت،1986م، ص102.

[7] ينظر الاتجاه الإسلاميّ في الشّعر الأندلسيّ، ص407.

هو "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ويكنّى أبا محمد ولد بقرطبة وجدّه سعيد ولد بأَوْنَبَه ثم انتقل إلى قرطبة وولي فيها الوزارة ابنه أحمد ثمّ ابنه علي الإمام..."[8]، وأول من دخل الأندلس من هذه الأسرة خلف بن معدان في زمن عبدالرحمن بن معاوية المعروف بالداخل".[9]

"واختلف العلماء في صحة نسبه ومنهم ابن حيّان والمقري والذّهبيّ، فتارةً يُقال بأنّه فارسيّ الأصل وأخرى يقال بأنّه إسبانيّ.[10]

وما يؤكّد نسبته إلى فارس:

وما ضرَّ شعري أنَّ مَنوشهر والدي ولم يحظَ أبي عُليا تميم ولا كلب.[11]

وُلد ابن حزم في آخر يومٍ من شهر رمضان، وقبلَ طلوعِ الشّمس يوم الأربعاء عام 348هـ.[12]

نشأ ابن حزمٍ في أسرةٍ ذات مالٍ وجاهٍ وسلطةٍ لم تمنعهُ من الانصراف عن العلم، بل كانت سبيلاً لبلوغِ غايتهِ السّاميّة في تحقيق مكاسبِ علميّة رفيعة في شتّى نواحي العلوم من شعرٍ ونثرٍ وفقهٍ وحديثٍ وأنسابٍ؛ فهوَ يصرّح عن نفسهِ في قصيدةٍ قالها وهو يُخاطب أبا المُطرَّف[13] ذكر العلوم الكثيرة الّتي أتقنها مما يدلّ على أن الوسط الّذي عاشَ فيه ابن حزم يعدُّ وسطاً ثقافيّاً زاخراً بالمعارف ما سهّلَ الأمر

[8]معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي، تح: إحسان عباس، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص1650-1652.

[9] تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، دار المعارف، لبنان، ص17.

[10] ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهيّة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص21.

[11] ديوان ابن حزم الأندلسيّ، تح: صبحي رشاد عبد الكريم، ط1، دار الصّحابة للتراث، طنطا، القاهرة، 1990م، منوشهر: أن له نسباً بفارس، ص76.

[12] ينظر الصّلة في تاريخ الأندلس، ابن بشكوال، إعداد إصلاح الدّين الهواري، ط1، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، 1423هـ، ج2، ص334.

[13]أبو المطرف هذا هو عبد الرّحمن بن أجمد بن بشير قاضي الجماعة في قرطبة، ويكنى أبا المطرف ويعرفُ بابن الحصار، كانت بينه وبين ابن حزم صداقةٌ، تداولت بينهم الرّسائل ولأنّ علي بن حميد القضاء سنة 407هـ، فبقي فيه لآخر سنة 419هـ، وكان ماهراً بالحكومة، ومع حلاوة اللفظ وحسن الحظّ وعابه ابن حيان الأندلسيّ المؤرخ بالشعوبيّة وبقعوده عن الرحلة إلى المشرق، ت: 422هـ، الدّيوان، ص73.

عليه في شتّى العلوم، فقرطبة مدينةُ الشّاعر على الرّغم من الاضطرابات السّياسيّة فيها إلّا أنّها اعتنت بالعلوم أشدَّ عنايّةٍ.

. لقد حدد ابن حزم الأشعار الّتي يمكن أن تروى وهي الأشعار الّتي يكثُر فيها الخير والحكم وأشار إلى أنه إذا تمّ تضمين شعر ضمن الأدب فيجب أن يكون ذا قيمة معنوية وعميقة بحيث يحتوي على حكم يستفيد منها الإنسان والشعر يكون وسيلة للتوجيه الأخلاقي والعقلي وليس مجرّد كلمات للزينة أو الفخر وهذا ما لمسناه في شعره.

مواطن الحذف في ديوان ابن حزم:

الحذفُ في اللغة: "حذفُ الشّيءِ، يحذفُ حذفاً، يُقطعُ من طرفه، الحجّام يُحذف الشّعرُ من ذلك، والحُذافة: ما حُذِف من الشيء فطُرِح، وخصّ اللّحياني به حُذافة الأديم".[14]

الإيجاز والحذف هما من التقنيات الأساسية التي يُعتمَد عليها في تحسين النصوص اللغوية، وهما يظهران قدرة الكاتب أو المتحدث على توصيل المعنى بأقل قدر ممكن من الكلمات دون فقدان القيمة البلاغية أو التأثيرية فالتكامل بينهما سعى إلى تقليص الفكرة وإيجازها لتصل إلى المتلقي بأقل عدد من الكلمات، ويعمد الشعراء إلى استخدام الحذف بشكل استراتيجي لزيادة عمق المعنى أو لتوجيه انتباه المتلقي إلى نقطة معينة.

وقد خصَّ ابن قتيبة(ت276ه) الحذف والاختصار ببابٍ واحدٍ مخالفاً في ذلك الجاحظ الذي صبّ اهتمامه على أهمية الحذف بالنسبة للبلاغة[15]، وقد ذكر ابن قتيبة الأوجه التي يورد فيها الحذف وفصّل فيها ومن هذه الأوجه: حذف الصفة وجملة الصفة والخبر والمضاف وجواب القسم و....[16] ، وأكمل ابن جني (ت 393ه) ما جاء به ابن قتيبة وأضاف عليه، فقد جعل للحذف أربعة أوجه هي: الجملة،

[14]لسان العرب: جمال الدين محمد بن كرم بن منظور، تح: عبدالله علي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف، القاهرة، مادة (ح ذ ف).

[15] ينظر البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر ، تح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص96-97.

[16] تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صقر، ط2، مكتبة التراث، القاهرة، ص210.

المفرد، الحرف، الحركة، وجعل لحذف المفرد ثلاثة أقسام: الاسم، الفعل، الحرف...[17]، وزاد ابن فارس (ت395) على ذلك الحذف في أنه ربط الحذف بفائدته إذ جعل عنوان فصله الخاص به باب الإضمار والحذف لفائدة[18]، ويذكر الجرجاني أهميّة الحذف ووعورة طريقه وجمالية من يصيب في استعماله في قوله عنه: "بابٌ دقيقُ المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة وتجدكَ أنطق ما تكون إذا لم تُنطِق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ...".[19]

لكن الحذف لا يكون دون دلالة على المحذوف، إذ هو من "المطالب الاستعمالية. فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء . وذلك لايتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافياً في المعنى. وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه".[20]

وقد حدد مواطن الحذف وغاياته علماء البلاغة والنحو ومما ورد منها عند شاعرنا الآتي:

أ-حذف المبتدأ:

المبتدأ من الابتداء، وهو عند النحويين: تعرية الاسم عن العوامل اللفظية الإسناد؛ نحو(زيدٌ منطلقٌ) وهذا المعنى عامل فيهما، ويسمّى الأول مبتدأ ومسنداً إليه ومحدّثاً عنه، والثاني خبراً وحديثاً ومسنداً[21]، وقد ذكر ابن عقيل مواضع حذف المبتدأ وجوبا منها:

---

[17] الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج2، ص362.

[18] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، لأبي الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، تح: السيد أحمد صقر، القاهرة، ص338.

[19] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص146.

[20] بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ص259.

[21] التعريفات، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، تح: محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص11.

أ- " النعت المقطوع إلى الرّفع: في مَدح، نحو:" مررتُ بزيد الكريمِ" أو ذم، نحو:" مررت بزيد الخبيثُ" أو الترحم، نحو:" مررت بزيد المسكينُ" فالخبر في هذه المواضع محذوف وجوبا، والتقدير:" هو الكريمُ، هو الخبيثُ، هو المسكينُ" .

ب- أن يكون الخبر مخصوصَ(نعم) أو (بئس) نحو:" نعم الرجلُ زيدٌ. وبئَس الرجلُ عمرو" فزيدٌ وعمرو: خبران لمبتدأ محذوف وجوباً، والتقدير "هو زيدٌ" أي الممدوح زيدٌ " وهو عمروٌ" أي المذمومُ عمروٌ. ج- ما حكى الفارسي من كلامهم " في ذمتي لأفعلنَّ" ففي ذمتي: خبر لمبتدأ واجب الحذف، والتقدير" في ذمّتي يمينٌ" وكذلك ما أشبهه، وهو ما كان الخبر فيه صريحا في القسم .

ج- أن يكون الخبر مصدراً نائباً مناب الفعل، نحو: " صبرٌ جميلٌ" التقدير:" صبري صبرٌ جميلٌ" فصبري: مبتدأ، وصبر جميل: خبره، ثمّ حذف المبتدأ_الذي هو صبري_ وجوباً .

فأما حذف المبتدأ جوازا فنحو(من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها)، ويقال: كيف زيد؟ فتقول: دنف، والتقدير: فعمله لنفسه، وإساءته عليها، وهو دنف".[22]

المبتدأ هو الركن الأول من أركان الجملة الاسمية وقد يستغنى عن هذا الركن في حالات ورد بعضها عند ابن حزم نحو قوله :[23]

ظباءٌ إذا قيس الظباءُ بحسنها فإن يعافيرَ الظباءِ خنافس

بدأ الشاعر بيته بكلمة (ظباء) وقصد بها (الظباء=النساء الجميلات) ليجعل الجمال هو أول ما يواجه السامع ولأن المقام مقام تصوير لا إخبار فهو لا يريد أن يبدأ بجملة تقريرية، فحذف المبتدأ (هنّ) يحقق التشويق فيتساءل السامعُ : مَن هؤلاء الظباء؟ ما قصتهنّ؟ لماذا يذكرهنّ ؟ فقد شبّه النساء بالظباء في الجمال ثمّ يقول: إن أعرضت عنك هذه الظباء فغيرها من النساء شبيه بالخنافس لا قيمة له فيوضّح

[22]شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل لمحيي الدين عبد الحميد، ج1، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ص255-256.

[23] الديوان، ص 66.

الشاعر هنا تغيّر نظرة النساء إليه بعد مشيبه فإبهام المقصود يجذب الانتباه ويشدّ الذهن والغاية هنا إشارة إلى التغيّر.

يتابع ابن حزم في حذف المبتدأ:

زمانٌ يسودُ المرءُ فيه بحقّه ولا كزمانٍ سادَ فيه الفلافسُ[24]

تقدير الكلام (ذاك زمانٌ) لا(هو زمانٌ) وذلك للدلالة على الزمن البعيد الذي كان يسود فيه العدل والحق، ليشير إلى زمان ولّى وانقضى ولم يَعُد، فهو يحمل في قلبه الحسرة والألم لانقضاء ذلك العهد الثمين، فيستشعر المتلقي مدى جمال الزّمن الّذي انقضى وتحسّر الشّاعر عليه، فحَذْفُ المبتدأ في مثل هذه العبارة يعطي الجملة انسيابية ووقعاً شعرياً أجمل فهذا الأسلوب يعزز الإيجاز والاهتمام بالزمن والرغبة في العودة إليه، ويشعر القارئ والمستمع بعمق ما يتحدث عنه .

ومما قاله ابن حزم أيضاً:

زعيمون أن يُقضى لنا دونَ غيرِنا إذا ازدحمَت عند الملوكِ القلانسُ [25]

الشاعر في مقام الفخر وما ساعده على ذلك حذف المبتدأ من الشّطر الأول ودلّ عليه السّيّاق من خلال الجار المجرور (لنا)، ما زاد من قيمة المفتَخر به، فاكتفى بذكر الخبر لعلم المخاطب به وإعلاءً لشأنهِ فجاء الحذف تقديراً وتعظيماً لنفسه، بالإضافة إلى الإكثار من ضمير المتكلم الدال على الجمع (نا) ظاهراً أو مستتراً.

ب- إضمار اسم (كان): نتطرق إلى البحث عن مواطن إضمار اسم كان وأخواتها كما ورد في كتاب سيبويه:

[24] الديوان، الفلافس: هنا ليس أصل ولعلّها تكون الفلاحس وهو الرجل المريض، ص66.

[25] الديوان ، زعيمون: جديرون، القلانس : جمع قلنسوة: وهو ما يلبس في الرّأس، ص67.

" إذا قلت: إنه مَن يأتنا، وإنه أمّةُ الله ذاهبةٌ.

فمن ذلك قول(بعض) العرب: ليس خلقَ اللهُ مثلَهُ. فلولا أن فيه إضماراً لم يَجُز أن تذكر الفعل ولم تُعمِله في اسم، ولكن فيه من الإضمار مثل مافي إنّه" .[26]

ومما ورد في ذلك في ديوان ابن حزم:

أقولُ والدهرُ قد غالتْ غوائلُه وحطَّ مني مكاناً كان يرفعُه [27]

قال ابن حزم هذه القصيدة في سجنه، هو يتشوق إلى أهله وولده، ويصوّر الشاعر حاله بحسرة وحزن وكلاهما يأكلان قلبه، أضمر الشاعر اسم (كان) من الشطر الثاني وتقدير الكلام: (كان الدهر يرفعه).

فجاء الحذف بلاغةً في الإيجاز ومركّزاً على التّحول من الارتفاع إلى الانخفاض، فقد اعتمد الشاعر على إضمار اسم الأفعال الناقصة في هذه القصيدة ومنها:[28]

وقد عاندَ الحزنَ حتى عادَ يرحمُه وساورَ الدمعَ حتّى جفَّ مدمعُه

وصارَ يرحمُه من كان يعذله لما اصطفاه من الأحوال أشنعه

أضمر الشاعر اسمي (صار وكان)، وممّا دلّ عليهما سياق الكلام السابق لهما فاسم كان تقديره (الدهر)، فالبيت يملؤه الأسى والحزن.

لهجة الشاعر تعبّر عن الحال الّذي وصل إليه بعد أن كان مرفوع القدر، إذ دار الزّمان عليه ليضعه بمكان لم يعتد عليه الشاعر ولم يألفه، فصرّح بالدهر في الشطر الأول ليكون دليلاً على تقديره في

[26]كتاب سيبويه، لعمرو بن عثمان بن قنبر، عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، 1988م، ص69-71.
[27] الديوان، غوائل الدّهر: دواهيه وأحداثه، ص71.
[28] الديوان، ص70.

الشطر الثاني، وكان لذلك الحذف جماليّته فالشاعر في مقام التضجر فالبؤس مخيّم عليه والشوق يحرق قلبه ومَن قام مقامه وعانى معاناته استغنى عن الذّكر واكتفى بذكر ما يدل عليه في السياق.

ج- حذف الخبر:

الخبر هو الجزء المُتِمُّ الفائدة، ك(اللهُ برٌّ)، والأيادي شاهدة،...، وقيل في تعريفه: إنّه الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة...، وينقسم الخبر إلى مفرد وجملة" [29] ولحذف الخبر مواطن عدة منها ما يكون واجباً ومنها ما يكون جائزاً، فمن الجائز نحو: "خرجت فإذا الأسد، أي: حاضرٌ، ونحو: أُكلها دائمٌ وظلّه أي: كذلك، ويقال: من عندك؟ فتقول: زيدٌ، أي عندي، وأما حذفه وجوباً في مسائل هي:

أ- أن يكون مطلقاً والمبتدأ بعد لولا، نحو لولا زيدٌ لأكرمتك أي لولا زيدٌ موجود، فلو كان كوناً مقيّداً وجب ذكره إن فقد دليله.

ب _ أن يكون المبتدأ صريحاً في القسم، نحو" لعمرُكَ لأفعلَنَّ والمراد بكون المبتدأ صريحاً في القسم: أن لايستعمل في غير القسم أصلاً أو أن يغلب استعماله في القسم حتى يصير بحيث لا يُستعمل في غير القسم إلا مع قرينة ويُفهم قبل ذكر المقسم عليه... .

جـ أن يكون المبتدأ معطوفاً عليه اسم بواو هي نصٌّ في المعيّة، نحو: (كلُّ رجلٍ وضَيعتُهُ) وكلُّ (صانعٍ وما صنع)، ولو قلت: زيدٌ وعمرو وأردت الإخبار باقترانهما جاز حذفه وذكره... .

دـ أن يكون المبتدأ إما مصدراً عاملاً في اسم مُفَسَّرٍ لضمير ذي حال لايصحُّ كونها خبراً عن المبتدأ المذكور نحو:(ضربني زيداً قائماً) أو مضافاً للمصدر المذكور نحو: (أكثرُ شربي السَّويقَ مَلتوتاً) أو إلى مؤول بالمصدر المذكور وإنما صحّ أن تسد الحال مسدَّ الخبر في هذه المسألة لأن الحال بمنزلة الظرف" .[30]

ومن أمثلة حذف الخبر في ديوان ابن حزم:

[29] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بحقيق شرح ابن عقيل،ج1، ص201-202.

[30]أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، محمد محيي الدن عبدالحميد،ج1، المكتبة العصرية، بيروت، ص220-227 .

لولا التّعاليم لم ندرِها ولا عاشَ حيٌّ ولا تغدَّ أمْ[31]

فحذف خبر لولا قاعدةٌ نحويّةٌ وضمّت أصولاً، لكن إذا أمعنا النّظر في البيت فالكلام على تقدير السامع (لولا التعاليم موجودة)، فالكلام في مقام الحديث عن اللغات والعلوم والصناعات الّتي وهبها الله لعباده وأكرمهم بها: فاختصر الكلام على المتلقي من خلال استخدام الأداة (لولا) الشّرطيّة ليأتي مباشرةً بالخبر المراد والتّعاليم.

فالمبتدأ والخبر هما الرّكنان الأساسيّان في الجملة الاسميّة فحذف أحدهما لا يكون عبثاً وإنّما بدلالة قرائن ولأغراض معيّنةٍ أرادها الشّاعر ليشارك المتلقي في ملء فراغات التركيب، فجواب شرط لولا كان كافياً لملء فراغ المتلقي.

ومن ذلك أيضاً:

وركبٌ لديها كيفَ يشاءُ فسكانُ برٍّ وسكان يَمْ[32]

صرّح، الشاعر بالمبتدأ (سكان) وحذفَ الخبر تقديره: (سكانُ برٍّ ناجون وسكان يم غارقون)، على الرغم من كونه كوناً خاصّاً إذ قسّم الناس في الحياة الدنيا إلى قسمين: أحدهما يختار النّجاة والآخر يختار الغرق وكنّى عن النجاة (بالبرّ)، وعن الغرق (باليم)، فحَذفُ الخبر يجعل المتلقي يكوّن الصورة الّتي أرادها الشاعر وفقاً لخيالهِ فقد اكتفى بالمضاف إليه الذي أوصل المعنى إلى المتلقي بإثارة تفكيره بدلاً من الذكر الصريح

فبذلك يستطيع المتلقي تركيب صورته بما يتوافق مع المبتدأ والمضاف إليه فكأنّه أراد أن يقول: "فسكان برٍّ ناجون، وسكان يَم غارقون"، قدّر الخبر: (ناجون_ غارقون)، دلّ عليهما (البر واليم)، وبدلالتهما أكثر بلاغةً من التصريح بالخبر مباشرةً.

[31] الديوان، ولا تغدّ أم: أيّ ولا تغذى قاصدٌ، ص39.

[32] الديوان، ص38.

ومن حذف الخبر الجائز ورد قول الشاعر:

وما اختصَّ علمٌ دون علمٍ بوجهتي بل مسرحي في كلّها الواسع الخصبُ [33]

حذف الشاعر خبر (مسرحي)، وتقديره الكلام (بل مسرحي كائنٌ في كلّها) أيّ في كلّ العلوم، ينفي ابن حزم عن نفسه تفرّده بعلمٍ واحدٍ دون العلوم الأخرى، وما دلّ على المحذوف في الشطر الأول عندما تحدّث عن العلم.

وقد اكتفى بذكر المبتدأ والصّفة وشبه الجملة رغبة في تعميم إتقانه للعلوم مع حذف ما يُعدُّ فضولاً في الكلام وذكر ما هو أهم وهو الصّفة(الخصب) التي تدلّ على كثرة العشب[34]، أي النماء غير المتوقف عند حدّ، بالإضافة إلى استخدامه ياء المتكلّم التي تؤكد استعظامه لنفسه الّتي وصلت لهذه المرتبة من العلم.

ومن ذلك أيضاً في قصيدته (حديث عن النّفس) قال ابن حزم:[35]

وكان مالي لهذا كلّه تبعاً بل صار عوناً لأعدائي على طلبي

لكن رجعتُ وقد جدَّ الزمانُ إلى كنزٍ من العلم والأخلاق والأدب

لا أختشي تضع الأيام منزلتي مدى الزمان وعندي أغلبُ الطلب

لا يستطيعون عزلي عن ولايتها إذا كلٌّ والٍ لهم بالعُزلِ في العقب

هذا بلا كُلفةٍ مني ولا حرس ولا عديد ولا إنفاق مكتسب

[33] الديوان، ص75.

[34] لسان العرب، مادة (خ ص ب).

[35] الديوان، ص79.

في هذه الأبيات يقارن ابن حزم بين منزلة العلم والأدب ومنزلة المال فعندما كان ذا مالٍ استطاع الزمان أن ينتقص من قيمته وعندما نال العلم والأدب بقيَ محافظاً على مكانته مدى الزّمان، ففي البيت الأخير حذف الخبر للمبتدأ (هذا)؛ فجاء حذفه دالاً على كون خاص ومفتخراً بمكانته التي حُفظت لنيله العلم والأدب واجتماع حذف الخبر مع النفي أدى دوراً في إيصال فكرته للمتلقي وهي رفعة منزلته العلمية التي كانت طبعاً فيه لا تكسباً ولذلك فقد سهّلَ عليه الحفاظ عليها ولم يكترث عند عزله من الملك أو عودته إليه.

د- إضمار الفاعل:

الفعل والفاعل جزءان أساسيان للجملة الفعلية لا يكتمل أحدهما دون الآخر فلكل مسند مسند إليه.

" فالفاعل هو المسند إليه الفعل أو شبهه على جهة قيامه به أي على جهة قيام الفعل بالفاعل ليخرج عنه مفعول مالم يُسمَّ فاعله".[36]

"وهو الاسم المسند إليه فعل، على طريقة فَعَلَ، أو شبهه، وحكمه الرفع، ويكون صريحاً ظاهراً، أو ضميراً بارزاً، أو مستتراً أسند إليه فعل تام بإخراج مرفوع كان وأخواتها الّتي تحمل على الإسناد الاسمي".[37]

ومن أحكام الفاعل أنه لا يُحذف بل يضمر:" فمن أحكام الفاعل أنّه لا يحذف، بل يُستتر جوازاً أو وجوباً على النحو الذي بيناه في الضمير المستتر والضمير البارز"[38] ولابدّ أن هناك فرقاً بين ذكر الفاعل وإظهاره اسماً واضحاً ظاهراً وبين ذكره مضمراً من الناحية البلاغية.

وفي شعر ابن حزم سنعرض إضمار(الفاعل ونضيف إليه حذف الفاعل وإقامة نائب الفاعل مكانه كذلك إضمار نائب الفاعل) .

[36] التعريفات، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، ص166.
[37] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ج:2، ص74.
[38] التطبيق النحوي، د.عبده الراجحي، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص176.

وفي وصف نعم الله تعالى ، وصحة نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم:[39]

وركّبَها في النفوس الّتي كما شاء إنشاءها ربكم

ولا كان شيءٌ سواه له مثالاً ولا مخرباً ما نظم

لأن الكثير له عدّة تُعَدّ وتحصره إذ يُعَم

إضمار الفاعل في (شاءها) مذكور ضمناً (غير مصرّح به)، وكذلك في (صاغ) يوحي ذلك بقدرة الله العظيمة التي شكّلت وصاغت وأتقنت كلّ شيء وما دلّ عليه (السياق)، أما في الفعل(شاء) كان إضمار الفاعل سبباً في التركيز على النتيجة بأن الله تعالى وزّع العقول بحكمته وكلّ حسب قدرته، أما الأفعال (أذكى وأصم) فتمّ إضمار فاعلها لتعميق شعور القارئ والمتلقي بقدرة الله تعالى ومشيئته، وفي الأفعال (ركّبها، شاء) وهي من الأفعال المتعدية التي ذكرت دون فاعل صريح لأن الفاعل مذكور ضمنا ومن خلال السياق كباقي الأفعال التي أضمرت فاعلها "الله سبحانه وتعالى" ، وجاء ذلك للتركيز على الفعل الإلهي .

ومما ورد في إضمار نائب الفاعل:

أحاديثٌ لم تكن في أصلها تباح ولكنها تُكتَتَمْ[40]

الفعل (تكتتم) هو فعل مبنيّ للمجهول تقدير الكلام:(يكتم الناسُ الأحاديثَ) فحذف الفاعل(الناس) لعدم الاهتمام به الناس وحل مكانه المفعول به (الأحاديث) فأضمر نائب الفاعل لدلالة الفعل عليه وأراد الإيجاز والاختصار لذكره في الشّطر الأول (الأحاديث).

وقال أيضاً:

[39] الديوان، ص39.

[40] الديوان، ص40

يناقضُ بعضُها بعضَها تكاذيبُها بادياتٌ تُتَم[41]

بنى الشاعر الفعل (تُتَم) للمجهول مع إضمار نائبه تقدير الكلام: (نمّ اليهودُ الأحاديثَ) فحذف الفاعل وأضمر نائب الفاعل، وذلك تحقيراً منه لنائب الفاعل فالكلام عائدٌ على الأحاديث الّتي تناقلتها النصارى واليهود مجاراة لأحاديث النبي صلّى الله عليه وسلم.

فالتحقير من أحد الأسباب لحذف نائب الفاعل، ويحذف نائب الفاعل لتعظيم الفاعل أو تحقيره أو خوفه منه. [42]

هـ-حذف المفعول به :المفعول به هو اسم وقع عليه فعل الفاعل[43]، ويقسم الفعل إلى لازم وهو ما لا يصل إلى فاعله إلا بحرف جر أي يكتفي بفاعله ولايحتاج إلى مفعول به ويسمى قاصراً ، والمتعدي وهو الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف جر أي يحتاج إلى مفعول به ويسمى رافعاً، ومجاوزاً ، والفعل المتعدي ثلاثة أقسام: منها ما يتعدى إلى مفعول واحد، ومنها ما يتعدى إلى مفعولين، ومنها ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل.[44]

فأبدى الزّمان وأبدى المكان وما فيهما صاغَ بَدْء ولَمْ[45]

حذف الشاعر المفعول به للفعل (لم) تقديره (لمّه)، فلم يحدد المفعول به ولم يصرّح به، والفاعل ضمير مستتر عائد على الله سبحانه وتعالى، وأراد من ذلك أنّ الجمع ما بين الأرض والسّماء وانتظامهما، وانتظام الكون على هذه الهيئة الّتي نراها اليوم كانت من صنع الله وحده وهذا على سبيل مثال قوله تعالى:"و أنّه هو أغنى وأقنى" النجم: 48، أي منه فقط فعل الإغناء والإقناء وهكذا كلُّ موضع كان القصد

[41] نمَّ والنمُّ: التوريش والإغراء ورفعَ الحديث على وجه الإشاعة والفساد. لسان العرب، (ن م م) .
[42] ينظر شرح ابن عقيل، ج2، ص112.
[43] ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، ج2،ط:1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ص 5.
[44] ينظر شرج ابن عقيل، ج2، ص145-148.
[45] الديوان، ص38.

فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء، وأن تخبر بأنّ من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلّا منه...

ألا ترى أنّك إذا قلت: هو يعطي الدّنانير، كان المعنى على أنّك قصدت أن تُعلِمَ السامعُ أنّ الدّنانيرَ تدخل في عطائه، أو أنّه يعطيها خصوصاً دون غيرها..."[46]

وفي بيتٍ آخر من القصيدة ذاتها:

هو الأول المبتدى خلقها كما شاء إذ شاء فرّق وضَمْ[47]

يتحدّث الشاعر عن صنع الله تعالى في الكون، فهو أوّل كلّ شيء وهو من بدأ خلق الكون وفق مراده، وفق مشيئته فحذف الشاعر المفعول به في الفعل (ضمَّ) ليطلق العنان للمتلقي بتصوّر كيفيّة التّفريق والتّجميع، بالإضافة لعدم تقيّد الله سبحانه بنوع واحدٍ من أنواعها.

يتابع ابن حزم في القصيدة نفسها:

فصاغ العقول كما شاءها فمن شاء أذكى ومن شا أصم[48]

يتطرّق الشاعر في قصيدته إلى الحديث عن صنع الله تعالى ولكن هذه المرة للإنسان، فقسّم العقول إلى قسمين: منها ما ينتفع به الإنسان ومنها عقول عاجزة لا تستخدم في منفعة، فحذف الشاعر المفعول به من الأفعال (أذكى– أصم)، تقدير الكلام: (أذكاه– أصمه)، فحذف المفعول به وجاء ليبرهن على استخدام الإنسان لعقله لا يقتصر على شيء واحد، بل هناك تفاوّتٌ ما بين إنسان وآخر باستخدام عقله، وكذلك الأمر بالنسبة للفعل (أُصم)، فأراد إبلاغ المتلقي أنّ الإنسان قد يكون عارفاً بشيء وجاهلاً بأشياء أخرى، وكذلك الأمر بالنسبة لأذكاه، ومن هنا كانت جماليّة الحذف.

[46] دلائل الإعجاز، ص154–155.

[47] الديوان، فرق وضم: تفريق وتجميع، ص38.

[48] الديوان، ص39.

و- حذف جواب الشّرط: جملة الشرط تحتوي على ركنين لايجوز حذف أحدهما إلا لسبب، وهذا الحذف قد يكون واجباً وقد يكون جائزاً .

"وذلك واجبٌ إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب، فالأول نحو:(هو ظالمٌ إن فعل)، والثاني نحو(هو إن فعل ظالم)...، وقول ابن معطي: (اللفظ إن يُفِد هو الكلام) إما من ذلك ففيه ضرورة، وهي حذف الجواب مع كون الشرط مضارعا، وإما الجواب الجملة الاسمية وجملتا الشرط والجواب خبر ففيه ضرورة أيضا...، ويجوز حذف الجواب في غير ذلك نحو" فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض "الأنعام: 35، أي فافعل...، "قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به" الأحقاف:10، قال لزمخشري: تقديره: ألستم ظالمين، بدليل "إن الله لايهدي القوم الظالمين" الأحقاف:10 ويرده أن جملة الاستفهام لا تكون جواباً إلا بالفاء مؤخرة عن الهمزة نحو:(إن جئتك أفما تحسن إليّ)..."[49]، ومن أمثلة حذف الجواب في القرآن الكريم:

"ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته وأنّ الله توّابٌ رحيم "النور:10، "حُذفت جملة جواب الشّرط والتّقدير لهلكتم أو لأخذكم بما فعلتم وأثّر الحذف في جواب (لو)"[50] ولم يتقدم على الأداة .

ويحذف جواب الشرط إذا كان الجواب مسبباً عن الشرط مثال: "من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت" العنكبوت:5، فأجل الله آت سواء وجد الرجاء أم لم يوجد والأصل المبادرة إلى العمل الصالح... .

من أمثلة حذف جواب الشرط في ديوان الشّاعر:

يا بردَ ذا القول في قلبي وفي كبدي ويا سروري به لو أنّهم فطنوا[51]

[49] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د.مازن مبارك ومحمد علي حمدالله، راجعه: سعيد الأفغاني،ج:1، ط:1، دار الفكر، دمشق، 1964م، ص721-722.

[50] فوائد المشوق إلى علوم القرآن الكريم وعلم البيان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن القيم)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص77-78.

[51] الديوان، ص63.

حذف جواب الشّرط للحرف (لو) أظنّ ذلك لتقدّم ما يدلّ عليه وهو حذف جائز تقدير الكلام: لو أنّهم فطنوا لكانت...، فالشّاعر مُلامٌ من قبل النّاس لأخذه بالظّاهر فهو يعتمد على الأخذ من القرآن والسّنة النّبويّة وما يدل عليه:

لا أنثني نحو آراء يقال بها في الدّين بل حسبي القرآن والسّنن[52]

لا يرفض الشاعر الاستماع لتلك الآراء مطلقاً يستمع وينصت لها إن كانت صحيحة، وهذا ما أدّاه الفعل (فَطِنَ) الّذي استخدمه الشّاعر (الفطنة كالفهم وهي ضدُ الغباوة)[53] ، والّتي تدلّ على فهمٍ واعٍ عند الإنسان لذلك استخدمه نائباً عن فعل (تذكر) فالتّذكرة قد يكون الشّيء حاصلاً أو لا؛ أي غير دقيق، فالمقام يحتاج إلى دقة، فحذف جواب الشّرط ليُترك للمُتلقي حريّةَ تكوين الجواب المناسب لهذا الشّرط.

فالحذف على الرغم من أنه عملية تعتمد على الاختصار لكنّها بيّنت أن للحذف أدواراً أخرى أسهمت في تقليل الغموض وتفاعل القارئ مع النص واستنتاجه للمعنى المحذوف يضفي عليه طابعاً دلالياً مختلفاً كلّ بحسب فهمه إلّا أنه يوجهه نحو المعنى المراد مما يساعده في استخلاص المعنى المراد.

أثر الحذف في تماسك النص:

يُعدُّ الحذف من الظواهر الأسلوبية البارزة في اللغة العربية، وهو من الأساليب التي تمنح النّصوص قدرة تعبيريّة عالية من حيث الإيجاز والدّقة والجمالية البلاغية، فالحذف الاسمي عبارة عن وسيلة نحوية ودلالية تؤثّر في بنية الجملة وسياقها، وأدت دوراً مهماً في تحقيق نصٍّ مترابطٍ ومتماسك، وذلك من خلال ربط أجزاء الكلام ببعضها بعضاً، ويحفّز المتلقي لاستقراء ما وراء الكلام وللبحث عن فاعل مناسب وفق السياق، ولاسيما أن وظيفة الحذف وفق نظرية الانسجام النّصي وتحليل الخطاب تتطلب تجاوز البنية النحوية لتسهم في تشكيل الاقتصاد اللغوي، والمحافظة على تماسك النّص .

[52] الديوان، ص63.

[53] لسان العرب، مادة (ف ط ن).

يمكن ملاحظة أن الحذف في شعر ابن حزم أن الحذف لايقلل من قوة النص أو يضعفه، بل يعزز من إيقاعه ويجعله أكثر تكاملاً وتماسكاً، ويظهر ذلك في قصيدة قالها ابن حزم محدّثاً بنعم الله تعالى وكونه وصحّة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفيها وعظ حسن. وهي مؤلفة من ثمانين بيتاً شعريا ومطلعها:[54]

لك الحمدُ يارِبّ والشكر تمْ لك الحمدُ ماباحَ بالشكرِ فم

لك الحمدُ في كلّ ماحالة فقد خصَّني منك فضلٌ وعَم

من الماءِ أنشأتني نطفةً ومن بعد ذلك لحم ودم

افتتحَ قصيدته بالثناء والحمد والشكر لله تعالى اعترافاً منه بنعَمهِ الظاهرة والباطنة، ثم يذكر مراحل الخلق التي تدلُ على عظمةِ خلقهِ وجعلها من النعم التي يمنُّ بها الله تعالى على الإنسان، فبدأ من مرحلةِ النطفة أوّل مرحلة لتشكّل الإنسان، ثم يتكوّن جسمُه في الرحم ويدبُّ الله فيه الروح وبعد ذلك يُفصِّلُ ابن حزم في الحواس التي أكرم الله تعالى بها عباده، ويذكر أهم نعمة أنعم بها على عباده وهي(العقل)، فهو الوسيلة التي تمكّننا من تمييز الأشياء بين الحق والباطل والحلال والحرام والصح والخطأ ... .

راعى ابن حزم تسلسل النعم ليصل من خلالها إلى نتيجة مفادها أن الله وحده مَنْ صنع هذا الكون بما فيه، ووحده مَنْ يديره، فقارئ الأبيات يرى أن ابن حزم كتب ما يجول في خاطره وفكره حتى وصل إلى حقيقةِ هذا العالم فأراد إيصالها للمتلقي من خلال تجربته، فحذف في هذه التجربة الشعورية بعض الكلمات كالخبر والمفعول به ومن ذلك :

[54] الديوان، ص37 .

وركبٌ لديها كيفَ يشاءُ فسكّانُ برٍّ وسكّانُ يَمْ[55]

في البيت السابق حُذفَ الخبر تقدير الكلام: "فسكّان برٍّ ناجون" و" سكّان يم غارقون" فحذف الخبر هنا جعل القارئ يعود إلى الشطر الأول لتدلّ على أنواع الناس في هذه الحياة (ركب)، مما يخلق ترابطاً داخلياً بين الشطرين ويحفّز القارئ على الربط الذّهني والتكملة ،" فهو يُعد وسيلةً تُسهم في خلق ترابط نصّيّ، إذ يشرع الحذف في تكوين حوار طرفاه النّص والمتلقي، وهو حوار يتجلى فيه تواصل المتلقي مع النّص".[56]

فالمتلقي جزءٌ من بناءِ النّص وهذا يعزّز التماسك النّصّي بالإضافة إلى أنَّ الشطر الثاني يحوي توازناً بين (سكان برّ) و(سكان يَمْ)، وهذا ما يمنح البيت انسجاماً موسيقياً يطرب له المتلقي فمهما اختلفت سبل الناس ما بين النجاة والغرق وتباين سعيهم في هذه الحياة فإنهم يجرون بقدرة الله تعالى وتدبيره فقال:[57]

فأبدى اللغاتِ وأعطى العلومُ وأفشى الصناعاتِ والكلُّ زَم

ولولا التعاليمُ لم نذْرها ولا عاشَ حيٌّ ولا تغذَّ أمْ

إن حذف الخبر بعد(لولا) قاعدة نحوية تقدير الكلام: " لولا التعاليمُ موجودةٌ"، لكن مَنْ ينظر إلى البيت الذي سبقه يلاحظ أن هناك دليل على المحذوف(أعطى العلوم)، فالله سبحانه وتعالى أعطانا هذه العلوم ولو لم تكن موجودة لم يُكتَب لإنسان عيشٌ على هذه الأرض.

فالحذف يتطلب من القارئ أن يكمل المعنى في ذهنه، مما يشركه في عمليّة التأويل ويجعل المتلقي أكثر عمقاً.

---

[55] الديوان: ص37.

[56] أثر الحذف في التماسك النّصّي، د.عبد العزيز بن عبد الله الميهوبي، موقع : معهد تعليم اللغة العربيّة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تاريخ النشر 2024/2/24.

[57] الديوان: الكل زم: أي ضمن وحمى ورعى الجميع، ص39.

وعلى الرغم من حذف الخبر لكن الجواب (جواب الشرط) قام بوظيفة كشف المعنى المحذوف فإن التقدير المنطقي لحذف الخبر يخلق علاقة سببية واضحة مع الجواب فيحصل التماسك بين المسبِّب والنتيجة على الرغم من حذف أحد عناصر الجملة لكن أسهمت العلاقة بين الشرط والجواب في تقوية السياق الدّلالي من خلال إعمال المتلقي ذهنه في تكشّف المحذوف والبحث عنه.

ومن ذلك أيضا:

فأبدى الزمانَ وأبدى المكان وما فيها صاغَ بَدءً ولَمْ[58]

أضمر الفاعل الذي يعود على الله سبحانه وتعالى وحذف المفعول به للفعل (لَمّ) وتقديره(الخلق) وقد يحذف المفعول به لدلالة السياق عليه، وهذا من باب الإيجاز الذي هو من فنون البلاغة.[59]

فالحذف لا يكون عشوائياً، بل يُبنى على قرينة سياقية وهو ما يجعله أداة لزيادة تماسك النّص عبر الاعتماد على الروابط الداخلية للمعنى .

فهو لم يُحدِث غموضاً مخلّاً بالمعنى لأنّ السياق يدلُّ عليه بوضوح (صاغ بدء) المقصود بها البداية، فالقارئ يتوقع أن يكون المحذوف ما يقابل هذا البدء أي النهاية أو الكمال، فهذا يُظهر أن التماسك الدلالي محفوظ بالسياق والحذف أدخل المتلقي في عملية تأويل وهذا يُعدُّ جانباً جمالياً، وحذفه أيضاً حافظ على الإيقاع والوزن وإذا ذُكِر صراحةً اختلَّ الوزن والإيقاع.

فصاغَ العقولَ كما شاءها فمَنْ شاء أذكى ومَنْ شا أَصَمْ [60]

فالفعلان (أذكى وأصم) متعديان على وزن أفعل الذي يفيد التغيير والتحويل، فدلَّ على قيام الفاعل بتغيير المفعول به وجعله في طور جديد، فيمكنه أن يحوّل العقول كما أرادها فمنهم من يكسب هذه النعمة ويستخدمها ومنهم مَنْ يجعلها صمّاء لا فائدة منها و(الفاعل عائدٌ على الإنسان) فلقد أدّى الحذف في الشطر الثاني دوراً مهماً في تحقيق تماسك النّص، وذلك لاعتماده على السياق السابق في

[58] الديوان: لَمْ: جمع، ص39.

[59] ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج1، ص281.

[60] الديوان: ص39.

تفسير المعنى، وأكسب التعبير تكثيفاً دلالياً وجمالياً، فقد ظهرت قدرة الشاعر على استخدام الإيجاز من غير إخلالٍ بالمعنى.

وأرسلَ مرسلَه بالهدى على ما قضاهُ وما قد حَتَمْ[61]

حذف المفعول به من الفعل (حتم) (فما) الموصولة أغنت عن ذكر المفعول به صراحة، فهي تشير إلى الشيء أو الأمر الذي قضاه الله والذي فرضه دون الحاجة إلى تكرار المفعول به بعد الفعل، فهي بمنزلة مرجع أساسي للدلالة على الحكم الإلهي، فالشاعر في ذلك لم يتجرّد من بلاغته العربية فحقق الهدفين معاً الإيجاز وترابط النّص.

ودانَ الملوكُ لآياته خلافَ التكاذيب ممن زَعَمْ[62]

الفعل(زعم) في البيت السابق لم يُذكر مفعوله وهذا لقصدٍ بلاغيٍّ. فهو لم يحصر الفعل (زعم) في شيء معيّن بل جعل المعنى أوسع أمام المتلقي ليطرح أسئلة مختلفة لاكتشاف المحذوف وهذا ليس عيباً بلاغياً وإنما ساعد على تعميق واتساع الدّلالة، فالبيت يتحدث عن خضوع الملوك الكبار لآيات الله وقرآنه على خلاف ما ادّعاه الكاذبون الذين قالوا على الله غير الحق.

فالحذف ساعد على إيجاد المفارقة بين خضوع الملوك وبطلان ادعاء الكاذبين، فالحذف جعل البيت مفتوحاً لم يتحدد بنهاية معيّنة ومناسبة للسياق العام من التحدي والدحض في البيت.

لا تعدْه واطّرح غيرَه وإنْ لامَ فيه أخٌ وابنُ عم[63]

الفعل(لام) من الأفعال التي تتعدى إلى مفعول به، فالحذف هنا لغاية بلاغيّة، وأراد الشاعر في هذا البيت أن يقول:

[61] الديوان: ص40.

[62] الديوان: ص 40.

[63] الديوان: ص41.

لا تجعل القرآن مجرد كلام ولا تكتفِ بالقول فيه بل طبّقه واترك كل كتاب غيره حتى لو لامك أهلك وأصحابك، فعندما حذف المفعول به كان للتعميم، وذلك عندما فتح على القارئ باب التأويل ما يجعل الدلالة أقوى وأشمل.

فيظهر اهتمام الشاعر على الفاعل لا على المفعول (المحذوف)، لأنه يقرُّ بأن فعل اللوم يمكن أن يظهر من قريب ومن غريب، لكنَّ النقطة الأبرز هنا هي اللوم من الأقارب وهذا ما خدم المعنى وجعله أكثر دلالةً .

يتضح لنا من خلال التحليل السابق، أن الحذف جاء أداة بلاغية أسهمت في تعزيز التماسك، فهذه المحذوفات تفعّل دور القارئ في استحضار المعنى واستنتاجه، وربطت النص بروابط جعلت منه أكثر إحكاماً. فالقارئ يجد في أن جميع هذه المحذوفات تدور في حول مقصد واحد هو إبراز الله تعالى وقدرته وعظيم إعجازه، وبذلك تحول الحذف من اختصار لغوي إلى أداة تعبيرية جسدت المعنى المراد.

نتائج البحث:

بعد إجراء هذه الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية:

1. أدى الحذف دوره في الإيجاز والاختصار فأوجد فراغاً يملؤه المتلقي وهو (نفي المثيل لله تعالى) .
2. أثار الحذف نوعاً من التأمل والتّفكر في الخَلْق فقد وضع المتلقي في مساحة أكبر في التأمل والتفكير لفهم النص ومعرفة المحذوف .
3. يتميّز شعر ابن حزم بالوضوح وقربه من ذهن المتلقي، مما يسّر إدراك المعاني واستنتاج المحذوف.
4. الحذف لايعني بالضرورة نقصا في المعنى، بل ساعد في تكثيفه وتحقيق تماسك أكبر.
5. الحذف جزء من عملية تنظيم النص بحيث لم نشهد حذف لكلمات أو عبارات أخلّت بهيكل القصيدة.
6. وقد أثر الحذف على كيفية بناء القارئ للمعنى.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

1. ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهيّة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
2. الاتجاه الإسلاميّ في العصر الأندلسيّ، منجد مصطفى بهجت، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت،1986م.
3. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، محمد محيي الدين عبدالحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت.
4. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة.
5. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام هارونج1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
6. تاريخ الأدب الأندلسي وعصر سيادة قرطبة، د إحسان عباس، ط2، بيروت، 1960م.
7. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، دار المعارف، لبنان.
8. تاريخ النّقد الأدبيّ في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1993م.
9. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صقر، ط2، مكتبة التراث، القاهرة.
10. التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م .
11. التعريفات، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، تح: محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
12. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
13. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
14. ديوان ابن حزم الأندلسيّ، تح: صبحي رشاد عبد الكريم،ط1، دار الصّحابة للتراث، طنطا، القاهرة، 1990م.

15. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ط20، دار التراث، القاهرة، 1980م.
16. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، لأبي الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، تح: السيد أحمد صقر، القاهرة.
17. الصّلة في تاريخ الأندلس، ابن بشكوال، إعداد إصلاح الدّين الهواري، ط1، المكتبة العصريّة، صيدا– بيروت، ل1423هـ.
18. فوائد المشوق إلى عِلوم القرآن الكريم وعلم البيان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن القيم)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
19. كتاب سيبويه، لعمرو بن عثمان بن قنبر، عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، 1988م.
20. لسان العرب: جمال الدين محمد بن كرم بن منظور، تح: عبدالله علي كبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف، القاهرة.
21. معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي، تح: إحسان عباس، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي.
22. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: د.مازن مبارك ومحمد علي حمدالله، راجعه: سعيد الأفغاني،ج:1، ط:1، دار الفكر، دمشق، 1964م.
23. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، ج2،ط:1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.
24. نفخ الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد محمد المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، م1، دار صادر، بيروت.

رسائل الماجستير:

الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة في الأندلس في عصر ملوك الطّوائف، خميسي بولعراس، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2007م.

المواقع الإلكترونية:

أثر الحذف في التماسك النّصّي، د.عبد العزيز بن عبد الله الميهوبي، موقع : معهد تعليم اللغة العربيّة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تاريخ النشر 2024/2/24.